مقتطفات من كتاب

العبودية

لشيخ الإسلام
أحمد بن تيمية
رحمه الله

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على صفوة خلقه وخاتم رسله محمدٍ عبد الله ورسوله، وعلى آله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه إلى يوم الدين.

أما بعد.. فقد سئل الشيخ رحمه الله عن قوله عز وجل:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ **فما العبادة؟ وما فروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أو لا ؟ وما حقيقة العبودية؟ وهل هي أعلى المقامات في الدنيا والآخرة أو فوقها شيء من المقامات؟**

وليبسط لنا القول في ذلك مأجورين رحمة الله وفضله.

الجواب:

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. "**العبادة** ": هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك

من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها، كما قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم. وقال تعالى: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ** وقال تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** وقال تعالى: **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** كما قال في الآية الأخرى: **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**. وجعل ذلك لازما لرسوله إلى الموت كما قال: **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: **وَلَهُ مَنْ فِي**

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ وقال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ وذم المستكبرين عنها بقوله:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى:﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الآيات. ولما قال الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ قال الله تعالى:﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وقال في وصف الملائكة بذلك:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله:﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ وقال تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي

لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا وقال تعالى عن المسيح - الذي ادعيت فيه الإلهية والنبوة - **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:«**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا:عبد الله ورسوله». وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله فقال في الإسراء:**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا** وقال في الإيحاء:**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** وقال في الدعوة:**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** وقال في التحدي:**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** فالدين كله داخل في العبادة.

وقد ثبت في الصحيح؛ أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال:«**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**». قال:فما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته**

وكتبه ورسـله والبعث بعد المـوت، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: فما الإحسـان؟ قـال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تـراه فإنه يـراك».** ثم قـال في آخر الحـديث: «**هـذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم».** فجعل هـذا كله من الدين.

و " الـدين " يتضـمن معـنى الخضـوع والذل, يقال: دِنْتُـه فَـدَانَ, أي: أذللته فـذل, ويقال: يُـدينُ اللهَ, ويَـدينُ لله, أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له, فـدين الله عبادته وطاعته والخضـوع له. و " العبـادة " أصل معناها: الـذل. أيضا. يقـال: طريق معبَّدٌ. إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

لكن العبادةُ المأمورُ بها تتضـمن معـنى الذل ومعنى الحب؛ فهي تتضمن غاية الـذل لله بغاية المحبة له؛ فإن آخر مـراتب الحب هو التَّتَيُّم، وأولُـه: " العلاقة ": لتعلق القلب بالمحبوب، ثم " الصبابة ": لانصـباب القلب إليه، ثم " الغـرام ": وهو الحب الملازم للقلب ثم " العشق "، وآخرها: " التَّتَيُّم "؛ يقـال: تيم الله: أي: عبد الله؛ فـالمتَيَّمُ: المعبَّد لمحبوبه.

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابـدا له، ولو أحب شـيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له، كما قد يحب ولـده وصـديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى؛

بل يجب أن يكــون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكـون الله أعظم عنـده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله.

وكل ما أحب لغــير الله فمحبته فاســدة، وما عُظِّمَ بغــير أمر الله كــان تعظيمه بـاطلا. قـال الله تعـالى: **﴿قُـلْ إِنْ كَـانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِـــيرَتُكُمْ وَأَمْـــوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَـادَهَا وَمَسَــاكِنُ تَرْضَــوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُــولِهِ وَجِهَــادٍ فِي سَــبِيلِهِ فَتَرَبَّصُــوا حَتَّى يَــأْتِيَ اللَّهُ بِــأَمْرِهِ﴾**. [سورة التوبة:24]

فجنس المحبة تكون لله ولرسوله، كالطاعـــة؛ فـــإن الطاعة لله ولرســـوله، والإرضـاء لله ولرسـوله: **﴿وَاللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَحَـقُّ أَنْ يُرْضُـوهُ﴾**[سـورة التوبــة:62]، والإيتاء لله ورسوله: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾**.[سورة التوبة:59]

وأما " العبادة " وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك، فلا يكون إلا لله وحـده، كما قـال تعـالى: **﴿قُـلْ يَا أَهْـلَ الْكِتَـابِ تَعَـالَوْا إِلَى كَلِمَـةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْـرِكَ بِـهِ شَـيْئًا﴾** إلى قوله:**﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُـوا اشْـهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** وقـال تعـالى:**﴿وَلَـوْ أَنَّهُمْ**

رَضُوا مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ فالإيتاء لله والرسول؛ كقوله: **وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**.

وأما الحسب -وهو الكافي- فهو لله وحده؛ كما قال تعالى: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**، وقال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**؛ أي: حسبك وحسب من اتبعك الله. ومن ظن أن المعنى: «حسبك الله والمؤمنون معه» فقد غلط غلطا فاحشا، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع، وقال تعالى: **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**.

و تحرير ذلك: أن العبد يراد به " المعبد " الذي عَبَّده الله؛ فدلّله ودبره وصرفه، وبهذا الاعتبار: فالمخلوقون كلهم عباد الله؛ الأبرار منهم والفجار والمؤمنين والكفار وأهل الجنة وأهل النار؛ إذ هو ربهم كلهم ومليكهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر؛ فما شاء كان وإن لم يشاؤوا. وما شاؤوا إن لم يشأه لم يكن؛ كما قال تعالى: **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ**

فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْـــهِ يُرْجَعُـــونَ. فهو ســـبحانه رب العـــالمين وخـــالقهم ورازقهم ومحـــييهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمـورهم, لا رب لهم غـيره, ولا مالك لهم سـواه, ولا خالق إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو أنكـروه وســـواء علمـــوا ذلك أو جهلـــوه؛ لكن أهل الإيمـــان منهم عرفـــوا ذلك وآمنـــوا به, وشـكروه بعبودية إلهية رغبا ورهبـا, بخلاف من كان جاهلا بـذلك أو جاحـدا له مسـتكبرا على ربه لا يقر ولا يخضع له مع علمه بـــأن الله ربه وخالقه, فالمعرفة بالحق إذا كـانت مع الاســـتكبار عن قبوله والجحد له كـــان عـــذابا على صـــاحبه كما قـــال تعـــالى: **وَجَحَـدُوا بِهَا وَاسْـتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُـهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُفْسِـــدِينَ**، وقـــال تعـــالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَـاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُـونَ الْحَـقَّ وَهُمْ يَعْلَمُـونَ**، وقـال تعـالى: **فَـإِنَّهُمْ لَا يُكَـذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**. فـإن اعـترف العبد أن الله ربه وخالقه، وأنه مفتقر إليه محتـاج إليه عـــرف العبودية المتعلقة بربوبية الله، وهـذا العبد يسـأل ربه ويتضـرع إليه ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمـره، وقد يعصـيه وقد يعبـــــده مع ذلك، وقد يعبد الشـــــيطان والأصنام، ومثل هـذه العبودية لا تُفَـرِّق بين

أهل الجنة وأهل النـار، ولا يصـير بها الرجل مؤمنا، كما قـــال تعـــالى: ﴿**وَمَا يُـــؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾؛ فـإن المشـركين كـانوا يقـرون أن الله خـالقهم ورازقهم وهم يعبـدون غـيره، قـال تعـالى: ﴿**وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ وقال تعالى:﴿**قُـلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُــونَ * سَــيَقُولُونَ لِلَّهِ قُــلْ أَفَلَا تَـــذَكَّرُونَ**﴾ إلى قوله:﴿**قُـــلْ فَـــأَنَّى تُسْحَرُونَ**﴾.

وكثـــــير ممن يتكلم في الحقيقة فيشهدها، لا يشهد إلا هـذه الحقيقة، وهي " الحقيقة الكونية " الـتي يشـترك فيها وفي شـهودها ومعرفتها المـؤمن والكـافر والـبر والفـاجر، بل إبليس معـترف بهـذه الحقيقة وأهل النـار؛ قـال إبليس: ﴿**رَبِّ فَـأَنْظِرْنِي إِلَى يَــوْمِ يُبْعَثُـونَ**﴾، وقــال: ﴿**رَبِّ بِمَا أَغْـــــوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾، وقـال: ﴿**فَبِعِزَّتِـكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾، وقال: ﴿**أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَــرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾، وأمثــال هــذا من الخطاب الذي يقر فيه بـأن الله ربه وخالقه وخالق غيره؛ وكذلك أهل النار قـالوا: ﴿**رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِـــــــقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ**﴾ وقال تعالى:﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَــالَ أَلَيْسَ هَــذَا بِــالْحَقِّ قَــالُوا بَلَى وَرَبِّنَا**﴾ فمن وقف عند هــذه

الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية الـــــتي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمـــــــره وأمر رســـوله، كـــان من جنس إبليس ومن أهل النـــار ؛ فـــإن ظن مع ذلك أنه من خـــواص أوليـــاء الله وأهل المعرفة والتحقيق الـــذين يسـقط عنهم الأمر والنهي الشـرعيان كـان من شر أهل الكفر والإلحاد.

ومن ظن أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك كـان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسـوله، حتى يدخل في " النوع الثـاني " من معـنى العبد وهو العبد بمعـنى العابد فيكـون عابـدا لله لا يعبد إلا إياه؛ فيطيع أمره وأمر رســله ويوالي أولياءه المؤمـنين المتقين ؛ ويعـادي أعداءه الكافرين والفاسقين.

وهذه العبادة متعلقة بألوهيته، ولهذا كان عنـوان التوحيد " لا إله إلا الله " بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبـــــده، أو يعبد معه إلها آخر؛ فالإله هو الـــذي يألهه القلب بكمـــال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخـوف والرجاء ونحو ذلك.

وهـــذه العبـــادة هي الـــتي يحبها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده, وبها بعث رســـله. وأما " العبد " بمعــــنى المعبَّد ســواء أقر بــذلك أو أنكــره, فــذلك يشترك فيه المؤمن والكافر.

وبـالفرق بين هـذين النـوعين يعـرف الفرق بين " الحقـائق الدينية " الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته، وبين " الحقـائق الكونية " الـتي يشـترك فيها المـؤمن والكـافر والـبر والفـاجر الـتي من إكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كـان من أتبـاع إبليس اللعين والكـافرين بـرب العـالمين. ومن اكتفى بها في بعض الأمـور دون بعض أو في مقـام دون مقـام أو حـال دون حـال نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية.

وهـذا مقـام عظيم فيه غلط الغـالطون وكثر فيه الاشتباه على السالكين حـتى زلق فيه من أكـابر الشـيوخ المـدعين للتحقيق والتوحيد والعرفـان ما لا يحصـيه إلا الله الذي يعلم السر والإعلان

الأصول التي تقوم عليها العبادة

والعبـادة والطاعة والاسـتقامة ولـزوم الصراط المسـتقيم ونحو ذلك من الأسـماء مقصودها واحد ولها أصلان:

" أحدهما ": ألا يعبد إلا الله.

و" الثـاني ": أن لا يعبده إلا بما أمر وشـرع؛ لا يعبـده بغـير ذلك من الأهـواء والظنون والبدع، قـال تعـالى:﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَلًا صَـالِحًا وَلَا يُشْـرِكْ بِعِبَـادَةِ رَبِّهِ أَحَـدًا** ﴾، وقـال

تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** ﴾؛ فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات. و " الحسنات " هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب. فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتب ولا في صحيح السنة, فإنها وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل ليست مشروعة، فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

وأما قوله: ﴿ **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾, وقوله: ﴿ **أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ** ﴾ فهو إخلاص الدين لله وحده، وكان عمر بن الخطاب يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا. وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾، قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان

صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة.

فصل

إذا تبين ذلك:فمعلوم أن الناس في هذا الباب يتفاضلون تفاضلا عظيما، وهو تفاضلهم في حقيقة الإيمان، وهم ينقسمون فيه إلى عام وخاص، ولهذا كانت إلهية الرب لهم فيها عموم وخصوص، ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انتقش؛ إن أُعْطِيَ رضي وإن مُنِعَ سَخَطَ**»[1]. فسمَّاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم عبدَ الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر ما فيه دعاءً وخبرًا؛ وهو قوله:«**تعس وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انتقش**». والنَّقْشُ: إخراج الشوكة من الرِّجل. والمنقاش: ما يخرج به الشوكة.

وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس؛

[1] (?) هذا معنى الحديث، وليس لفظه، وهو في البخاري كتاب الجهاد برقم (2887).

فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه «**إذا أعطي رضي وإذا منع سخط**»، كما قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** ﴾؛ فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه؛ إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط؛ فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رقُّ القلب وعبوديته؛ فما استرق القلب واستعبده فالقلب عبده، ولهذا يقال:

العبد حر ما قنع والحر عبد ما

وقال القائل:

أطعت مطامعي ولو أني قنعت

ويقال:الطمع غلٌّ في العنق وقيد في الرجل؛ فإذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل. ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:«الطمع فقر واليأس غنى، وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه». وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه؛ فإن الأمر الذي ييأس منه لا يطلبه ولا يطمع فيه ولا يبقى قلبه فقيرا إليه ولا إلى من يفعله. وأما إذا طمع

في أمر من الأمـور ورجـاه فـإن قلبه يتعلق به فيصير فقيرا إلى حصوله، وإلى من يظن أنه سـبب في حصـوله، وهـذا في المـال والجـاه والصـور وغـير ذلك؛ قـال الله عز وجـل: ﴿**فَـابْتَغُوا عِنْـدَ اللَّهِ الـرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.

فالعبد لا بد له من رزق وهو محتاج إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله فقيرا إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبـدا لـذلك المخلـوق فقـيرا إليه؛ ولهـذا كـانت " مسألة المخلوق " محرمة في الأصل، وإنما أبيحت للضـرورة، وفي النهي عنها أحـاديث كثـيرة في الصـحاح والسـنن والمسـانيد؛ كقوله ﷺ: «**لا تـزال المسـألة بأحـدكم حـتى يـأتي يـوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم**» [1]. وقوله:«**من سـأل النـاس وله ما يغنيه جـاءت مسـألته يـوم القيامة خدوشا** -أو خموشا أو كدوشـا- **في وجهه**» [2]. وقوله: «**لا تحل المسألة إلا لذي غـرم مفظع أو دم موجع أو فقر مـدقع**». وهذا المعنى في الصحيح. وفيه أيضا: «**لأن يأخذ أحـدكم حبله فيـذهب فيحتطب خير له من أن يسأل الناس، أعطـوه**

---

1 (?) المزعة: القطعة الصغيرة.

2 (?) الخدوش والخمـوش والكـدوش: كلهـا بمعـنى واحـد، وهو آثار التقطع والتمزق.

أو منعـوه». وقـال: «**ما أتـاك من هـذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك**»؛ فكره أخـــذه من ســؤال اللســـان واستشـــراف القلب, وقـال في الحـديث الصـحيح:«**من يســتغن يغنه الله ؛ ومن يســتعفف يعفه الله ؛ ومن يتصبر يصـبِره الله ؛ وما أعطي أحد عطــاء خــيرًا وأوسع من الصبر». **وأوصى خواص أصحابه «**أن لا يسألوا النـاس شـيئا»**. وفي المسـند «أن أبا بكر كان يسقط السوط من يده فلا يقـول لأحد: نـاولني إيـاه. ويقـول:إن خليلي أمــرني أن لا أســأل النــاس شــيئا». وفي صـحيح مسـلم وغـيره عن عـوف بن مالك: أن النــبي صــلى الله عليه وســلم بايعه في طائفة وأسر إليهم كلمة خفية:«**أن لا تسألوا الناس شيئا». **فكان بعض أولئك النفر يســقط الســوط من يد أحــدهم، ولا يقول لأحد: ناولني إياه. وقد دلت النصــوص على الأمر بمســـألة الخـــالق والنهي عن مســألة المخلــوق في غــير موضع؛ كقوله تعـالى:﴿ **فَـإِذَا فَـرَغْتَ فَانْصَـبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَـارْغَبْ** ﴾، وقــول النــبي صــلى الله عليه وســـلم لابن عبـــاس:«**إذا ســـألت فاسأل الله ؛ وإذا اسـتعنت فاسـتعن بالله»**. ومنه قــول الخليل:﴿**فَابْتَغُوا عِنْـدَ اللَّهِ الرِّزْقَ**﴾ ولم يقل: فـابتغوا الـرزق عند الله ؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصـاص

والحصر ؛ كأنه قال لا تبتغوا الرزق إلا عند الله. وقد قال تعالى:﴿**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

والإنسان لا بد له من حصول ما يحتاج إليه من الرزق ونحوه، ودفع ما يضره، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله ؛ فلا يسأل رزقه إلا من الله ولا يشتكي إلا إليه؛ كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾.

والله تعالى ذكر في القرآن " الهجر الجميل " و " الصفح الجميل " و " الصبر الجميل "، وقد قيل:إن " الهجر الجميل " هو هجر بلا أذى، والصفح الجميل صفح بلا معاتبة، والصبر الجميل صبر بغير شكوى إلى المخلوق ؛ ولهذا قرئ على أحمد بن حنبل في مرضه أن طاوسا كان يكره أنين المريض ويقول:إنه شكوى. فما أنَّ أحمد حتى مات.

وأما الشكوى إلى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل ؛ فإن يعقوب قال:﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾، وقال:﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في الفجر بسورة (يونس) و (يوسف) و (النحل) فمر بهذه الآية في قراءته, فبكى حتى سُمِعَ نشيجه من آخر الصفوف. ومن دعاء موسى:اللهم لك الحمد وإليك المشتكى،

وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك.

وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحريته مما سواه ؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه، كما قيل:استغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره؛ واحتج إلى من شئت تكن أسيره، فكذلك طمع العبد في ربه.

ورجاؤه له يوجب عبوديته له، وإعراض قلبه عن الطلب من غير الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله؛ لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق؛ بحيث يكون قلبه معتمدا إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه، وإما على أهله وأصدقائه، وإما على أمواله وذخائره، وإما على ساداته وكبرائه، كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ؛ ممن هو قد مات أو يموت. قال تعالى: **﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾**. وكل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه أو يرزقوه أو أن يهدوه خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميرا لهم مدبرا لأمورهم

متصرفا بهم ؛ فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر.

فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة- ولو كانت مباحة له- يبقى قلبه أسـيرا لها تتحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سـيدها؛ لأنه زوجها أو مالكها، ولكنه في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، لا سيما إذا علمت بفقره إليها وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها ؛ فإنها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور، الذي لا يسـتطيع الخلاص منه، بل أعظم؛ فـإن أسر القلب أعظم من أسر البـدن، واسـتعباد القلب أعظم من استعباد البـدن؛ فـإن من استُعْبِدَ بدنُه واسترِقَّ لا يبالي ما دام قلبه مسـتريحًا من ذلك مطمئنا، بل يمكنه الاحتيـال في الخلاص. وأما إذا كان القلب -الذي هو ملك الجسـم- رقيقا مسـتعبدا متيما لغـير الله، فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب.

وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثـواب والعقـاب ؛ فـإن المسـلم لو أسره كافر ؛ أو استرقه فـاجر بغـير حق لم يضره ذلك إذا كان قائما بما يقـدر عليه من الواجبـات، ومن اسـتعبد بحق إذا أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ولو أكره على التكلم بـالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمـان لم يضـره ذلك. وأما من اسـتعبد

قلبه فصار عبدا لغير الله فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس.

فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس؛ قال النبي : **« ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس ».** وهذا لعمر الله إذا كان قد استعبد قلبه صورةٌ مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة -امرأة أو صبي- فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب. وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذابا وأقلهم ثوابا؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقا بها مستعبدا لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى؛ فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررا عليه ممن يفعل ذنبا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه. وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين، كما قيل:

سكران هوى، ومتى إفاقة من

وقيل:

قالوا:جننت بمن

العشق أعظم مما

العشق لا يستفيق

وإنما يصرع

ومن أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله؛ فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب، والإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفا من مكروه؛ فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر. قال تعالى في حق يوسف: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾.

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله، ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا كبير علاج. قال تعالى:﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾؛ فإن الصلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه؛ فإن ذكر الله عبادة لله وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها. وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع، والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه، فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك؛

فإنهـــا تفسد القلب كما يفسد الـــزرع بما ينبت فيه من الـدغل، ولهـذا قـال تعـالى: ﴿ **قَـدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَـدْ خَـابَ مَنْ دَسَّـاهَا** ﴾ وقـال تعـالى:﴿ **قَـدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** ﴾ وقال: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّـوا مِنْ أَبْصَـارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُـرُوجَهُمْ ذَلِـكَ أَزْكَى لَهُمْ** ﴾ وقـال تعـالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُـهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَـدٍ أَبَـدًا**﴾؛ فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج هو أقـــــوى تزكية للنفس، وبين أن تـــــرك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاة النفوس تتضـمن زوال جميع الشـرور من الفـواحش والظلم والشرك والكذب وغير ذلك. وكذلك طـــــــالب الرئاسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقــدمهم والمطــاع فيهم فهو في الحقيقة يرجــوهم ويخــافهم، فيبــذل لهم الأمــوال والولايـات، ويعفو عما يجترحونـه ليطيعـوه ويعينــوه؛ فهو في الظــاهر رئيس مطــاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم.

والتحقيق أن كليهما فيه عبودية للآخر، وكلاهما تارك لحقيقة عبـادة الله، وإذا كـان تعاونهما على العلو في الأرض بغـــير الحق كانا بمنزلة المتعـــــاونين على الفاحشة أو قطع الطريق؛ فكل واحد من الشخصـــين- لهـواه الـذي اسـتعبده واسـترقه- مسـتعبد

للآخر، وهكذا أيضا طـالب المـال؛ فـإن ذلك المال يستعبده ويسترقه.

وهذه الأمور نوعان:

(منها): ما يحتــاج العبد إليه؛ كما يحتــاج إليه من طعامه وشــرابه ومســكنه ومنكحه ونحو ذلك ؛ فهــــذا يطلبه من الله ويــرغب إليه فيه؛ فيكــون المــال عنــده - يسـتعمله في حاجته- بمنزلة حمـاره الـذي يركبه وبســـاطه الــــذي يجلس عليه ؛ بل بمنزلة الكـنيف الـذي يقضي فيه حاجته من غــير أن يســتعبده، فيكــون هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ؛ وإذا مسه الخير منوعا.

و(منها): ما لا يحتاج العبد إليه؛ فهذه لا ينبغي له أن يعلق قلبه بها ؛ فـــــإذا تعلق قلبه به صـــار مســـتعبدا له ؛ وربما صـــار معتمدا على غــير الله، فلا يبقى معه حقيقة العبـادة لله ولا حقيقة التوكل عليه ؛ بل فيه شــعبة من العبــادة لغــير الله وشــعبة من التوكل على غير الله، وهذا من أحق النـاس بقوله : «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الـــــدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة».**

وهذا هو عبد هذه الأمور؛ فلو طلبها من الله فـــإن الله إذا أعطـــاه إياها رضي، وإذا منعه إياها سخط، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله، ويســخطه ما يســخط الله، ويحب ما أحبه الله ورســــــوله ويبغض ما

أبغضه الله ورسوله، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله تعالى، وهذا هو الذي إستكمل الإيمان، كما في الحديث: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**». وقال:«**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**». وفي الصحيح عنه : «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**».

فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه، فكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأحب المخلوق لله لا لغرض آخر، فكان هذا من تمام حبه لله؛ فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ؛ فإذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق لا لشيء آخر فقد أحبهم لله لا لغيره, وقد قال تعالى: **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** .ولهذا قال تعالى:**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**؛ فإن الرسول لا يأمر إلا بما يحب الله، ولا ينهى إلا عما يبغضه الله، ولا يفعل إلا ما يحبه الله، ولا يخبر إلا بما يحب الله التصديق به، فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول

فيصـــــدقه فيما أخـــــبر ويطيعه فيما أمر ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هـــذا فقد فعل ما يحبه الله، فيحبه الله.

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين:اتباع الرســول، والجهــاد في ســبيله ؛ وذلك لأن الجهـاد حقيقته الاجتهـاد في حصـول ما يحبه الله من الإيمــان والعمل الصــالح، وفي دفع ما يبغضه الله من الكفر والفســـــــــوق والعصيان، وقد قـال تعـالى: **قُلْ إِنْ كَـانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ** إلى قوله: **حَتَّى يَـأْتِيَ اللَّهُ بِـــــــــــــــــأَمْرِهِ** ؛ فتوعَّـــد من كـــان أهله وماله أحب إليه من الله ورســوله والجهــاد في ســبيله بهــذا الوعيد الشـــديد. بل قد ثبت عنه في الصـــحيح أنه قــال:«**والــذي نفسي بيــده لا يــؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولـده ووالـــــده والنـــــاس أجمعين**». وفي الصــحيح: أن عمر بن الخطــاب قــال له:يا رســــــول الله والله لأنت أحب إلي من كل شـــيء إلا من نفسي. فقـــال:«**لا يا عمر حـــتى أكــون أحب إليك من نفسك**». فقـــــــال:فوالله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال: «**الآن يا عمر**».

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بمــوالاة المحبــــوب؛ وهو موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض، والله يحب الإيمـــــــــان

والتقوى ويبغض الكفر والفسوق والعصيان. ومعلـــــوم أن الحب يحــــرك إرادة القلب؛ فكلما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبــات. فــإذا كــانت المحبة تامة اســــــتلزمت إرادة حازمة في حصـــــــول المحبوبــات؛ فــإذا كــان العبد قــادرا عليها حصلها، وإن كان عاجزا عنها ففعل ما يقـدر عليه من ذلك كان له أجر كـــأجر الفاعل؛ كما قــال النــبي ﷺ: «**من دعا إلى هــدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، من غـــــير أن ينقص من أجـــــورهم شيء، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الـــــوزر مثل أوزار من تبعه، من غـــير أن ينقص من أوزارهم شيء**». وقال: «**إن بالمدينة لرجـالا ما سـرتم مســـــيرا ولا قطعتم واديا إلا كــــانوا معكم.** قـــالوا:وهم بالمدينة؟ قـــال:**وهم بالمدينة حبسهم العذر**».

و" الجهاد " هو بذل الوسع. وهو القدرة في حصــول محبــوب الحق ودفع ما يكرهه الحق؛ فــإذا تــرك العبد ما يقــدر عليه من الجهاد كان تركه دليلا على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه.

ومعلوم أن المحبوبـات لا تُنـال غالبا إلا باحتمــال المكروهــات؛ ســواء كــانت محبة صـــالحة أو فاســـدة؛ فـــالمحبون للمــــال والرئاسة والصــور لا ينــالون مطــالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا، مع ما يصــيبهم من

الضـرر بالمـال نفسه في الـدنيا والآخـرة؛ فالمحب لله ورسوله إذا لم يحتمل ما يـرى من تحمل المحـبين لغـير الله ما يحتملـون في سـبيل حصـول محبـوبهم دل ذلك على ضـعف محبته لله إذا كـان ما يسـلكه أولئك هو الطريق الذي يشير به العقل.

ومن المعلوم أن المـؤمن أشدُّ حبًّا لله؛ كما قـال تعـالى: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْـــدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** .

نعم، قد يسـلك المحب لضـعف عقله وفسـاد تصـوره طريقا لا يحصل له بها المطلـوب، فمثل هـذه الطريق لا تحمد إذا كـانت المحبة صـالحة محمـودة، فكيف إذا كانت المحبة فاسـدة والطريق غـير موصل كما يفعله المتهـورون في طلب المـال والرئاسة والصور في حب أمور تـوجب لهم ضـررا ولا تحصل لهم مطلوبا؛ وإنما المقصـود الطـرق الـتي يسـلكها ذو العقل السـليم لحصـول مطلوبه. وإذا تـبين هـذا، فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية مما سواه.

والقلب فقـير بالـذات إلى الله من " جهتين ":من جهة العبادة وهي العلة الغائية، ومن جهة الاسـتعانة والتوكل، وهي العلة الفاعلية؛ فالقلب لا يصـلح ولا يفلح ولا ينعم

ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة؛ من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له؛ فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله، فهو دائما مفتقر إلى حقيقة: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾؛ فإنه لو أعين على حصول ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده ولم يحصل له عبادته لله؛ فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب لله؛ بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله؛ لا يحب شيئا لذاته إلا الله، ومتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة " لا إله إلا الله "، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله، وكان فيه من النقص والعيب بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك، ولو سعى في هذا المطلوب ولم يكن مستعينا بالله متوكلا عليه مفتقرا إليه في حصوله لم يحصل له؛ فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فهو مفتقر إلى الله من حيث هو المطلـوب المحبـوب المـراد المعبـود ومن حيث هو المســؤول المســتعان به المتوكَّل عليه؛ فهو إلهه الــذي لا إله له غــيره، وهو ربه الـذي لا رب له سـواه، ولا تتم عبوديته لله إلا بهـذين؛ فمـتى كـان يحب غـير الله لذاته أو يلتفت إلى غـير الله أنه يعينه كـان عبـدا لما أحبه وعبـدا لما رجـاه بحسب حبه له ورجائه إيــاه، وإذا لم يحب لذاته إلا الله، وكلما أحب سـواه فإنما أحبه له، ولم يــرج قط شــــيئا إلا الله، وإذا فعل ما فعل من الأســـباب أو حصل ما حصل منها كــــان مشــاهِدًا أن الله هو الــذي خلقها وقــدرها وســخرها لــه، وأن كل ما في الســموات والأرض فالله ربه ومليكه وخالقه، وهو مفتقر إليه-كــان قد حَصــَلَ له من تمـــام عبوديته لله بحسب ما قسم له من ذلك، والنــاس في هــذا على درجــات متفاوتة لا يحصي طرفيها إلا الله.

الكبر ينافي حقيقة العبودية

فأكمل الخلق وأفضـــــلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهــداهم: أتمهم عبودية لله من هـذا الوجه؛ وهـذا هو حقيقة دين الإسلام الـذي أرسل به رسـله، وأنـزل به كتبه؛ وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره؛ فالمستسـلم له ولغـيره مشـرك، والممتنع عن الاستســلام له مســتكبر؛ وقد ثبت في الصــــحيح عن النــــبي ﷺ: «**أن الجنة لا**

يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، كما أن النار لا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ فجعل الكبر مقابلا للإيمان؛ فإن الكبر ينافي حقيقة العبودية، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«**يقول الله: العظمة إزاري والكبرياء ردائي؛ فمن نازعني واحدا منهما عذبته»؛** فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار؛ ولهذا كان شعار الصلوات والأذان والأعياد هو التكبير، وكان مستحبا في الأمكنة العالية؛ كالصفا والمروة، وإذا علا الإنسان شرفا أو ركب دابة ونحو ذلك، وبه يطفأ الحريق وإن عظم، وعند الأذان يهرب الشيطان. قال تعالى: **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** . وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره؛ ويذل له؛ فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«**أصدق الأسماء حارث وهمام»؛** فالحارث: الكاسب الفاعل، والهمام: فعال من الهم، والهم أول الإرادة؛ فالإنسان له إرادة دائما، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه؛ فلا بد لكل عبد من

مــراد محبــوب هو منتهى حبه وإرادته؛ فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل اســتكبر عن ذلك، فلا بد أن يكــون له مــراد محبــوب يســتعبده غــير الله، فيكــون عبــدا لذلك المراد المحبوب:إما المال وإما الجــاه وإما الصـــور وإما ما يتخـــذه إلها من دون الله؛ كالشمس والقمر والكواكب والأوثــان، وقبــور الأنبيــاء والصــالحين، أو من الملائكة والأنبيــاء الــذين يتخــذهم أربابا أو غــير ذلك مما عبد من دون الله، وإذا كان عبــدا لغــير الله يكـــون مشـــركا، وكل مســـتكبر فهو مشـــرك؛ ولهـــذا كـــان فرعـــون من أعظم الخلق اســـتكبارا عن عبـــادة الله، وكـــان مشـــركا؛ قـــال تعـــالى: ﴿**وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا مُوسَـى بِآيَاتِنَا وَسُـلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَــوْنَ وَهَامَــانَ وَقَــارُونَ فَقَـالُوا سَـــاحِرٌ كَـــذَّابٌ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَقَـــالَ مُوسَـى إِنِّي عُـذْتُ بِـرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُـلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُـؤْمِنُ بِيَـوْمِ الْحِسَـابِ**﴾ إلى قوله:﴿ **كَـذَلِكَ يَطْبَـعُ اللَّهُ عَلَى كُـلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾، وقـــــال تعـــــالى:﴿ **وَقَــارُونَ وَفِرْعَــوْنَ وَهَامَــانَ وَلَقَـدْ جَاءَهُمْ مُوسَـى بِالْبَيِّنَـاتِ فَاسْـتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ** ﴾ وقـــال تعـــالى:﴿ **إِنَّ فِرْعَـــوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْـعِفُ طَائِفَـةً مِنْهُمْ يُـــذَبِّحُ أَبْنَـــاءَهُمْ وَيَسْـــتَحْيِي نِسَــاءَهُمْ إِنَّهُ كَـانَ مِنَ الْمُفْسِـدِينَ** ﴾،

وقال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾، ومثل هذا في القرآن كثير، وقد وصف فرعون بالشرك في قوله:﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ** ﴾؛ بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله كان أعظم إشراكا بالله؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجة إلى مراده المحبوب الذي هو المقصود؛ مقصود القلب بالقصد الأول، فيكون مشركا لما استعبده من ذلك، ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه، ولا يوالي إلا من والاه الله، ولا يعادي إلا من عاداه الله، ولا يحب إلا لله ولا يبغض شيئا إلا لله، ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله؛ فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر والشرك، والشرك غالب على النصارى، والكبر غالب على اليهود ؛ قال تعالى في النصارى:﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا**

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، وقال في اليهود: **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ، وقال تعالى: **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**.

ولما كان الكبر مستلزما للشرك، والشرك ضد الإسلام، وهو الذنب الذي لا يغفره الله - قال تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** وقال: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** - كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام؛ فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره؛ لا من الأولين ولا من الآخرين ؛ قال نوح: **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** وقال في حق إبراهيم: **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** إلى قوله: **فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا**

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وقال يوسف: ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ وقال موسى: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ** ﴾ ﴿ **فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا** ﴾ وقالت بلقيس ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ وقال:﴿ **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** ﴾ وقال: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ وقال:﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾فذكر إسلام الكائنات طوعا وكرها؛ لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام؛ سواء أقر المقر بذلك أو أنكره، وهم مدينون له مدبرون ؛ فهم مسلمون له طوعا وكرها؛ ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به وهو رب العالمين ومليكهم يصرفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور فقير

محتــاج معبد مقهــور، وهو الواحد القهــار الخـالق البـارئ المصـور. وهو وإن كـان قد خلق ما خلقه بأسـباب فهو خـالق السـبب والمقـدر له وهو مفتقر إليه كافتقـار هـذا، وليس في المخلوقات سبب مسـتقل بفعل خير ولا دفع ضرر؛ بل كل ما هو سـبب فهو محتاج إلى سـبب آخر يعاونه وإلى ما يـدفع عنه الضد الـــــــذي يعارضه ويمانعه، وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه؛ ليس له شـــــريك يعاونه ولا ضد يناوئه ويعارضه. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَفَـرَأَيْتُمْ مَا تَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُـرٍّ هَـلْ هُنَّ كَاشِـفَاتُ ضُـرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَـةٍ هَـلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِـهِ قُـلْ حَسْـبِيَ اللَّهُ عَلَيْـهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُـونَ**﴾ وقـال تعـالى:﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُـرٍّ فَلَا كَاشِـفَ لَـهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ** ﴾ وقـال تعـالى عن الخليل:﴿**يَا قَــوْمِ إِنِّي بَــرِيءٌ مِمَّا تُشْــرِكُون**﴾ ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَــرَ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْــرِكِينَ**﴾ ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَـالَ أَتُحَـاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِـهِ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ رَبِّي شَـيْئًا**﴾... إلى قوله تعـالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَــدُونَ**﴾، وفي

الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه « أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم, فقال:«**إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**»

فصل

وجماع الدين " أصلان ": ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع؛ لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى:﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾. وذلك تحقيق " الشهادتين " ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله.

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه ؛ فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره. وقد بين لنا ﷺ ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة، قال تعالى:﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

كما أنَّا مأمورون ألا نخاف إلا الله ولا نتوكل إلا على الله ولا نرغب إلا إلى الله ولا نستعين إلا بالله، وألا تكون عبادتنا إلا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول

ونطيعه ونتأسى به؛ فـــــــالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والـدين ما شـرعه، قـال تعـالى:﴿**وَلَـوْ أَنَّهُمْ رَضُـوا مَا آَتَـاهُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَقَـالُوا حَسْـبُنَا اللَّهُ سَـيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْــلِهِ وَرَسُــولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾؛ فجعل الإيتـاء لله والرسـول، كما قـال:﴿**وَمَا آَتَـاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْـهُ فَـانْتَهُوا**﴾، وجعل التوكل على الله وحــده بقوله:﴿**وَقَـالُوا حَسْـبُنَا اللَّهُ**﴾. ولم يقل: «ورســوله»، كما قــال في الآية الأخــــرى: ﴿**الَّذِينَ قَــالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَــدْ جَمَعُــوا لَكُمْ فَاخْشَــوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْـبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيــــــلُ**﴾، ومثله قوله:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ**﴾؛ أي: حســبك وحسب المؤمــنين، كما قــال: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَــافٍ عَبْــدَهُ**﴾. ثم قــال: ﴿**وَقَـالُوا حَسْـبُنَا اللَّهُ سَـيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْــلِهِ وَرَسُــولُهُ**﴾؛ فجعل الإيتــاء لله والرسـول، وقـدم ذكر الفضل ؛ لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشـــــاء والله ذو الفضل العظيم، وله الفضل على رســــوله وعلى المؤمنين.

وقـال:﴿ **إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُـونَ**﴾؛ فجعل الرغبة إلى الله وحده، كما في قوله: ﴿**فَـإِذَا فَـرَغْتَ فَانْصَـبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عبـاس:«**إذا سـألت فاسـأل الله،**

وإذا استعنت فاستعن بالله». والقرآن يـدل على مثل هـذا في غـير موضع؛ فجعل العبـــادة والخشـــية والتقـــوى لله، وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله، كما في قـول نوح عليه السلام: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُـــونِ**﴾، وقوله: ﴿**وَمَنْ يُطِـــعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْـهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾، وأمثال ذلك.

فالرسل أمــروا بعبادته وحــده والرغبة إليه والتوكل عليه والطاعة لهم؛ فأضل الشـيطان النصـارى وأشـباههم، فأشـركوا بالله وعصـوا الرسـول فاتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله والمسـيح ابن مــريم، فجعلــوا يرغبــون إليهم ويتوكلــون عليهم ويســألونهم مع معصــيتهم لأمــرهم ومخالفاتهم لسـنتهم، وهـدى الله المؤمـنين المخلصــين لله أهل الصــراط المســتقيم الذين عرفوا الحق واتبعـوه فلم يكونـوا من المغضــوب عليهم ولا الضــالين، فأخلصــوا دينهم لله وأسلموا وجوههم لله وأنــابوا إلى ربهم وأحبوه ورجوه وخافوه وسألوه ورغبوا إليه وفوضـــوا أمـــورهم إليه وتوكلـــوا عليه وأطـــاعوا رســـله وعـــزروهم ووقـــروهم وأحبوهم ووالوهم واتبعوهم واقتفوا آثــارهم واهتــدوا بمنــارهم. وذلك هو دين الإســلام الـــذي بعث الله به الأولين والآخـــرين من الرسل، وهو الــدين الــذي لا يقبل الله من

أحد دينا إلا إيــاه، وهو حقيقة العبــادة لــرب العالمين.

فنســــأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ويكمله لنا ويميتنا عليه وســـــــائر إخواننا المسـلمين، والحمد لله وحـده، وصـلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * * *